التأويل الباطني: أسبابه ومصادره (إخوان الصفاء نموذجاً)

أ. مراد قاسمي
جامعة أليكانتي/ إسبانيا

ملخص:

أجمع جل الباحثين على أنّ ظهور التأويل الباطني كان متزامناً مع ظهور الحركات الباطنية، إلّا أنّ الخلاف يكمن في أسباب نشأة هذه الفرق، أصولها ومصادرها المعتمدة في التأويل. تطوّر هذا النّوع من التأويل ليصبح ظاهرة فكرية سادت بين الفرق الشيعيّة والصوفية إلى أن رسمت معالمه في موسوعة إخوان الصفاء ذات الطابع الفلسفي، الصوفي، والسياسي الباطني الشيعي. من خلال هذا البحث نحاول البحث عن أسباب نشأة التأويل الباطني والكشف عن مصادره معتمدين في ذلك على كتابات إخوان الصفاء الذين لا تزال هويّتهم محل نقاش بين الباحثين.

مفاتيح البحث: التأويل الباطني، الفرق الباطنية، الفلسفة اليونانية، إخوان الصفاء.

Abstract:

Researchers agreed that Mystic symbolism and interpretation was contemporary with the development of mystic sects. However there is still controversy in the reasons regarding the nature of the different sects, their origins, sources and goals. The development of these different types became an intellectual phenomenon among Shia and Sufis .

The foundation of this mystic theory was written in the works of the Ikhwān al-Ṣafā'. Their encyclopedia has philosophical character, and represents the Sufi, esoteric and political aspects of Shia. This paper aims to investigate the nature of this mystic interpretation through the major sources of the Ikhwān al-Ṣafā' in order to have a clearer insight about this controversial topic .

Keywords: Mystic interpretation, mystic sects, Greek Philosophy, Ikhwān al-Ṣafā'

1. مقدمة:

لم يقتصر الاختلاف بين الباحثين حول أصل نشأة الفرق الباطنية فحسب، بل تعداه إلى المصادر التي ارتكزت عليها. فهناك من يرى أنّ نشأة هذه الفرق ترجع إلى المجوس، ومنهم من ينسبها إلى صابئة حرّان، إلّا أنّ هذه الاحتمالات سرعان ما تزول عندما نتعرّف على الأصول والمصادر التي اعتمدتها هذه الفرق.

وممّا لا شك أنّ التأويل الباطني ظهر في بداية الأمر بين فرق غلاة الشيعة، وكان له علاقة مباشرة بالتوجّه السياسي لها. لكن الإشكال الذي يطرح نفسه، هو كيف تطوّر وذاع هذا الفكر في القرن الثالث والرابع الهجري حتّى صار يشكّل نمطاً فكرياً جديداً بين الأوساط الإسلامية؟ هل وجِد له أساس في لغة القرآن؟ هل كان لحركة الترجمة في عهد الخليفة المأمون علاقة بانتشاره؟

لعلّ أضخم عمل فكري دوِّن على شكل موسوعة أدبية فلسفية في القرن الرابع تمثل في رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء.[1] الهدف المعلن عنه من قبل الجماعة، هو التوفيق بين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية. فكان عليهم لزاماً أن يؤصلوا لأرائهم الفلسفية بنصوص ذات شرعية مقتبسة من القرآن والسنة. ولكنهم لم يقتصروا فقط على الإقباس بل تعدوا ذلك إلى حمل معنى نصوص بعض الآيات الكريمة محمل التأويل الذي خفي عن معظم علماء

[1] موسوعة رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، طبعت لأول مرة بالهند وهناك طبعة صدرت منها أجزاء مترجمة إلى اللغة الإنجليزية، بينما اعتمدنا في هذا البحث على طبعة صادر لعدم اكتمال الطبعة المشار إليها، ولنا عمل عبارة دراسة وتحقيق للرسالة الجامعة ذات الفوائد النافعة تاج رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء قدمناه من أجل شهادة الدكتوراه (نوقشت الأطروحة بتاريخ 2015/7/7 بجامعة ألكانتي –إسبانيا).

عصرهم. هل كان هدف إخوان الصفا البحث عن الحقيقة عن طريق الفلسفة، أم كان ادعاء العلوم الفلسفية وسيلة لأعراض أخرى؟

لقد كان ولا يزال هدف مؤلفي الرسائل محل خلاف بين الباحثين، فقد أضفوا على كتاباتهم الصبغة الدينية الصّوفية والفلسفيّة والسّياسية. فما سبب ذلك؟ وما هي مصادر التي اعتمدوها في تأويلاتهم؟

2 -تعريف التأويل الباطني:

تعريفه في اللّغة: هذا المصطلح يتركّب من كلمتين (التأويل): ومعناه يدور حول التّفسير، والمصير، والعاقبة وغيرها من المعاني. و**(الباطني)**: وأصل هذه الكلمة مادة بَطْن، وهو خلاف الظهر، والباطن: اسم فاعل وهو ضد الظاهر.[1]

المعنى الاصطلاحي للتأويل: قال الجرجاني: التأويل في الشرع "صرف اللّفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنّة مثل قوله تعالى ﴿**يخرج الحيّ من الميِّت**﴾. إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل كان تأويلاً".[2] فنرى أنّ الجرجاني يقِّره بظوابط.

[1] **محمد ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج13 ص 53-54**

[2] علي بن محمد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985، ص 52.

وعرّف محمد بن إبراهيم التأويل الباطني بأنّه: الزعم أنّ لنصوص الشرع ظاهراً وباطناً.[1]

هناك تعريفات أوسع وأشمل تبيِّن معنى التّأويل، وسبب الأخذ به، ومنها تعريف من يقول إنّه: "تفسير الكتب المقدسة تفسيراً رمزياً أو مجازياً يكشف عن معانيها الخفية".[2]

فالشريعة كما يقول البعض "مشتملة على ظاهر وباطن؛ لاختلاف فطر النّاس، وتباين قرائحهم في التّصديق؛ فكان لا بدّ من إخراج النّص من دلالته الظّاهريّة إلى دلالته الباطنيّة بطريق التّأويل؛ فالظاهر هو الصور والأمثال المضروبة للمعاني، والباطن هو المعاني الخفيّة التي لا تتجلّى إلّا لأهل البرهان؛ فالتأويل –في نظرهم– هو الطريقة المؤدية إلى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها"[3]

وقال بعضهم "أنّه من تقاعد عَقْلُه عن الغوص في الخفايا والأسرار، والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها – كان تحت الآصار والأغلال. وأرادوا بالأغلال: التكاليف الشرعيّة؛ لأنّ من ارتقى إلى علم الباطن –بزعمهم– سقطت عنه التكاليف، واستراح من أعبائها".[4]

---

[1] محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد: مصطلحات في كتب العقائد، دار بن خزيمة، الرياض، ص 25.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب، بيروت، 1982، ج1 ص 234.

[3] محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، مكتبة الأقصى، عمان، 1984، ص30

[4] محمد أبي حامد الغزالي: فضائح الباطنية، ص11–12.

وبهذه التعريفات يتبيّن لنا أنّ سبب التسمية الباطنية بذلك، يرجع لأخذهم بالتّفسير أو التّأويل الباطني دون الظاهر. فكل من أخذ به سمِّي باطنيّاً، وكل طائفة أخذت به دخلت في مسمّى الفرق الباطنية.[1]

3- الفرق الباطنيّة:

أ. الفرق الشيعيّة:

أغلب الفرق الباطنيّة لها أصل شيعي، وتزعم هذه الفرق أنّ للنّصوص ظاهراً عَلَّمه الرسول –صلى الله عليه وسلم– لأمته، وباطناً علّمه علياً – رضي الله عنه– وبلّغه سراً إلى الأئمة من بعده.[2]

ب. الفرق الصوفيّة:

تقسِّم بعض الفرق الصوفيّة الدِّين إلى حقيقة وشريعة، فالشريعة عندهم: أحكام الدّين الظاهرة، أو الأحكام التكليفيّة، أمّا الحقيقة فهي ما وراء هذه الأحكام من إشارات وأسرار، فإذا وصل العابد إلى الحقيقة لم يحتج معها إلى القيام بأمور الشرع.

أفاد عدد كبير من الباحثين أنّ فكرة تقسيم الشّريعة إلى الظّاهر والباطن، والعام والخاص، تدرّجت وتطرّقت إلى التأويل الباطني والتفسير المعنوي، وتفريق المسلمين بين العامّة والخاصّة تسرّبت إلى التصوّف من التشيّع. فإنّ الشيعة بجميع فرقها، وخاصة الإسماعيلية منهم يعتقدون أنّ

[1] محمد بن ابراهيم بن أحمد الحمد: المرجع السابق، ص 26.

[2] محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 2000، ج3 ص 132 133

لكل ظاهرٍ باطن، وقد اختصّ بمعرفة الباطن عليّ رضي الله عنه، وأولاده أي أئمتهم المعصومون حسب زعمهم، فسمّوا الموالين لهم بالخاصة، وغير المؤمنين بهذه الفكرة بالعامّة.[1]

حتّى أنّهم اختلقوا أحاديث في ذلك: «ما نزلت عليّ آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكلٍّ حرفٍ حدّ، ولكلٍّ حدّ مطلع»[2].

4- سبب ظهور التأويل الباطني:

أ. الأسباب السياسية:

لعلّ السبب الرّئيس في ظهور التأويل الباطني، هو انقسام المسلمين سياسياً إلى فرق، وكان سبب ذلك هو خلاف المسلمين حول قضية الإمامة، فقد شايع البعض في بداية الأمر بعض أئمة أهل البيت، ثم اختلفوا فيما بينهم فيمن يكون له الأولويّة من هؤلاء الأئمة، فانقسموا إلى عدة فرق، ولعلّ من أهم هذه الفرق التي كان لها كيان سياسي وديني وفكري بعد ذلك، هي الإمامية الإثنا عشرية، والإسماعيلية. وقد عرفت هذه الأخيرة باسم الباطنية، وتفرّع منها عدة طوائف أخرى.

فقد بدأ التأويل عند هذه الفرق بالنصوص التي تتضمّن الإمامة، كالتأويلات التي حفظت عن أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأجدع، هذه النظريات صارت لها أساساً بعد ذلك عند الإسماعيلية.[1]

---

[1] إحسان إلهي ظهير الباكستاني: التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1986، ج1 ص 243.

[2] أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة، تحقيق صلاح الصادي، طبعة انجمن فلسفة، إيران، 1397هـ.

ب. الأسباب الفكرية:

تطوَّر الإتجاه السياسي لهذه الفرق إلى إتجاه فكري وعقدي، فنجم عن هذا الصراع بين الفرق، تيّارات فكرية تسعى إلى الاحتجاج والانتصار إلى مذهبها –باعتبار أنّ القرآن الكريم المصدر الأساسي للتشريع والحكَم الفاصل بين الحق والباطل– فسعت كل فرقة لتأويل فحواه فيما يتوافق مع مصالحها السياسيّة. كما أنّه لا يخفى أنّ هذه الفرق انتشرت في أماكن كانت تدين قبل الإسلام بالمجوسية، المانوية، الزرادشتية، النصرانية، واليهودية. وبذلك يتضِّح أنّ الديانات السالفة الذِّكر كان لها أثرها الفكري في الفرق الباطنية التي ظهرت في الإسلام.[2]

بعد ظهور حركة ترجمة كتب الفلسفة الإغريقية، والهلسينية، والغنوصية، أصبح محتوى هذه الكتب يحتج به في المناظرات بين أصحاب هذه الفرق.

5- مصادر التأويل الباطني:

لم يقتصر الدّاعي السياسي لهذه الفرق إلى اختلاق أحاديث في فضل ما يرمون إليه وحسب، بل طالت الأيدي إلى كتاب الله باعتباره أوّل مصدر للتّشريع، فبما أنّه دوّن وحفظ، لم يبق أمام هؤلاء إلّا ثغرة تأويل معناه الحقيقي.

---

[1] إحسان إلهي ظهير: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1987، ص 46-49.

[2] في دراسة تحليلية لرسائل إخوان الصفاء يؤكد جبور عبد النور الأثر الفكري للديانات المشار إليها في أفكار إخوان الصفا. ينظر جبور عبد النّور: إخوان الصفاء، دار المعارف، مصر، 1961، ص 49.

أ. المجاز كصنف إلى التأويل الباطني:

ليس هدفنا البحث بعمق في المجاز، ولكن يجدر بنا الإشارة إلى معناه وكيف كان منفداً للباطنية للإحتجاج به، باعتباره من خصائص لغة القرآن.

1.تعريف المجاز:

كلمة مَجَاز بوزن مَفْعَلٌ من جازَ الشيءَ يَجُوزه، إذا تعدَّاه، وإذا عُدل باللّفظ عمّا يوجبه أصل اللّغة، وُصف بأنّه مجاز، على معنى أنّهم جازوا به موضعَه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذى وُضع فيه أوّلاً.[1]

والمجاز اللّغوي هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له مع قرينة مانعة عن إرادته، أي إرادة معناها فى ذلك الاصطلاح.[2]

لذلك نعلم أنّ لكل مجاز حقيقة «لأنّه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلّا لنقله عن حقيقة موضوعة له، إذ المجاز هو اسم للموضع الذى ينتقل فيه من مكان إلى مكان فجعل ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلى غيرها، وإذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها إلى حالته المجازية، فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز، فإنّ من الأسماء ما لا مجاز له كأسماء الأعلام لأنّها وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات».[3]

---

[1] عبد القاهر الجرجانى: أسرار البلاغة، تحقيق هـ.ريتر، الطبعة الثالثة سنة 1983 ص 357. القزوينى عبد المتعال الصعيدى: بغية الإيضاح لتخليص المفتاح فى علوم البلاغة ، مكتبة الآداب بالقاهرة، 4ج×1مج، ج3 ص 78.

[2] على بن محمد بن على الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربى– بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ ج1 ص 259.

[3] ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق الدكتورين الحوفى وطبانة– القاهرة . ج1 ص 78–80.

أ. أهمية المجاز:

يشير بن الأثير إلى أنّ «المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة فى باب الفصاحة والبلاغة لأنّه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التى هي الأصل أولى منه حيث هو فرع عليها».[1] وقال **بن رشيق (**ت 463هـ) «المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً فى القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ».[2] وقال أيضاً: «العرب كثيراً ما تستعمل المجاز، وتعده من مفاخر كلامها؛ فإنّه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات».[3]

ب. نفاه المجاز فلي القرآن:

مع ذلك نجد البعض ينفي وقوعه في القرآن. ولكنّ هؤلاء لم يكثروا في تعداد أسباب المنع، ولم يطنبوا في شرحها والتمثيل لها. بل لهم في ذلك عبارات موجزة كل الإيجاز.[4] وراجح أنّ سبب إنكار المجاز في القرآن، هو في تلك الحملة الضارية التي شنت على القول بالمجاز والقائلين به من سلف الأمّة بعد دخول المجاز في مباحث العقيدة والتوحيد، وتعلُّقِه بصفات الله عزّ وجلّ. وقد تطرّف قومٌ من علماء الكلام فأوسعوا دائرة التأويل في كتاب الله، وادّعوا أنّ

[1] ابن الأثير: المصدر السايق ج1 ص 79.

[2] ابن رشيق القيرواني: العمدة، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد– القاهرة ج1 ص 87.

[3] المصدر السابق

[4] عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى: المجاز فى اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1425هـ – 2004هـ، ج2 ص 617.

لكل لفظ في القرآن ظاهراً وباطنا، وحمَّلوا الألفاظ ما لم تحمل وتعسَّفوا فى التأويل.[1]

كما أنّ أغلب الفرق الباطنية اتّخذت خاصيّة المجاز في لغة القرآن ذريعةً لتحميل ألفاظ القرآن الكريم معاني يعسرُ على الباحث أن يجد لها سندا. سنستعرض نماذج من هذه التأويلات لاحقاً.

ت. الشرائع السابقة:

نجد أكبر مدونة في الفكر الباطني المتمثلة في رسائل إخوان الصفاء تنقل رواية صلب المسيح (عليه السلام) من الإنجيل مع أنّها مخالفة لظاهر القرآن ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾[2] وذلك بحيث أنّ هذه الرواية تتوافق مع معتقدهم الفلسفي الّذي يقِرّ بصعود الأرواح الطيّبة فقط إلى الملأ الأعلى وعودة البدن إلى مادته الأصليّة التراب.[3]

كما نجد إخوان الصفاء يقِرّون أنّ مصادر علومهم هي كتب التنزيل فنجدهم يقتبسون من السفر الرابع من صحف هرمس الذي يعتقدون أنّه النبي إدريس (عليه السلام) مثلث الحكمة.[4]

---

[1] المرجع السابق: ج2 ص 642.

[2] القرآن الكريم: سورة النساء الآية 157.

[3] إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2005، ج4، ص 25-27.

[4] المرجع السابق ج1 ص 252.

ونجد أيضاً جذور فكرة الحلول لدى النّصارى الذين يقولون بأنّ الله تعالى حلّ في المسيح الإنسان ليتكوّن المسيح الإله من طبيعتين، وهي فكرة اتحاد اللاهوت والناسوت، أو حلول اللاهوت في الناسوت، تلقى صدى عند هذه الفرق الباطنية مثل الدروز الذين يقولون بحلول الله تعالى في شخص الحاكم بأمر الله،[1] والنّصيرية الذين يدّعون حلول الله تعالى في علي بن أبي طالب رضي الله عنه،[2] وغلاة الشّيعة الذين يزعمون حلول الله تعالى في **جعفر الصادق** (148هـ) رحمه الله،[3] ومن الصوفية من نقَل عن **أبي منصور الحلاج:** "أنا الحق".[4] ومفهوم الحلول عند هؤلاء أنّ الله سبحانه وتعالى حلّ في بعض خلقه وامتزج به بحيث تلاشت الذات الإنسانية في الذات الإلهية، فصارتا متحدتين غير منفصلتين.

ج. الفلسفة:

يقول الدكتور محمد أحمد الخطيب في الأصل التاريخي للباطنية: "الواقع أن مؤرِّخي الفِرَق مختلفون في أصلها ومصدرها؛ فمنهم مَن يُرجِعها إلى المجوس، ومنهم مَن ينسبها إلى صابئة حران، إلاَّ أن هذا الاختلاف يزول

---

[1] شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين، دمشق، 1982، ج 1 ص 391.

[2] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، ج 1، ص 188-189.

[3] غالب بن علي عواجي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، 2001، ج 3، ص 988.

[4] عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة – بيروت، 1977، ج 1 ص 247.

عندما نعرف أن الأصول التي يعتمد عليها الباطنية بكلِّ فِرَقِها وطوائفها نابعةٌ من الفلسفة اليونانية التي غزت بأفكارها الكثير من الفرق".[1]

لعل أوّل بذرة للتأويل الباطني هي فكرة الغنوصية، جاءت تسميتها من الكلمة اليونانية Gnosis التي تعني المعرفة الحدسية الباطنية، أو العرفان بمصطلح التصوف الإسلامي، فالعارفون هم الغنوصيون الذين يتواصلون مع الحقيقة الكليّة عن طريق بصيرتهم الداخلية، فالخلاص عند الغنوصية يتأتّى عن طريق فعاليّة روحية داخلية تقود إلى معرفة النّفس، وفي أعمق مستوياتها تقود إلى معرفة الله ذوقاً وكشفاً وإلهاماً، هذه المعرفة هي التي تحرر الروح الحبيسة في إطار الجسد المادي والعالم المادي الأوسع، لتعود إلى مصدرها حيث كانت قبل الهبوط.[2]

هذه الفكرة كان لها أثرها في رهبان المسحية قبل ظهور الإسلام، وقد تبلورت في الفكر الصوفي الإسلامي، فالمصادر تشير أنّ جابر بن حيان الصوفي وذو النون المصري كان لهم عكوف على كتب الأوائل (بما فيها الكتب الإغريقية).[3]

يشير **فراس السواح** إلى أنّ الغنوصية مذهب استسقى أفكاره من الرسائل الهرمسية، "أهمّها مثنوية الإنسان وإنقسامه إلى جزء مادي وآخر روحي، حيث يمثل الجسد كل ما هو مادي ومظلم وفان، ويمثل العقل –الذي يتطابق مع

[1] محمد أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص20.

[2] فراس السواح: طريق إخوان الصفاء، المدخل إلى الغنوصية الإسلامية، دار علاء الدين، دمشق، 2008، ص 27 .

[3] Mourad KACIMI: “Nuevos datos sobre la autoría de la *Rutbat al-ḥakīm* y la *Ġāyat al-ḥakīm* (o *Picatrix*)”. *eHumanista/IVITRA* (4) 2013. 237-256, p. 252.

الروح- كل ما هو نوراني وحقيقي وخالد، وهو الذي يقود في النّهاية إلى الخلاص من سجن المادة، وتجسد فعالياته في سعي الروح إلى الإنعتاق، ودعوتها إلى العوالم النورانية العليا، إلى الله الذي تدعوه هذه النصوص بالأب الكلي".[1]

5- علاقة إخوان الصفا بالفرق الباطنية:

عدد كبير من الباحثين يؤكّد الصِّلة بين إخوان الصفاء والإسماعيلية الباطنية، من هؤلاء **إيفس ماركت**،[2] **إيفانوف**،[3] **وسترن**.[4] أمّا المصادر الإسماعيلية فهي تؤكّد الهويّة الإسماعيلية للرسائل،[5] وهذا يفسِّر الاحترام الشديد الذي يكِنُّه الإسماعيليون للرسائل. بحيث أنّهم يعتبرونها القرآن بعد القرآن، في اعتقادهم أنّ القرآن الكريم كتاب العامّة والرسائل كلام الأئمة وقرآن الخاصّة.[6]

ومع ذلك كانت كتابات إخوان الصفاء ولا تزال مصدر خلاف بين علماء الإسلام والمستشرقين. وشمل الجدل التساؤل حول الانتماء المذهبي للجماعة،

---

[1] فراس السواح: المرجع السابق، ص 27.

[2] Yves. MARQUET: "Les Iḫwân al-Ṣafâ' et le christianisme", *Islamochristiana,* Roma, 1982, (8), pp. 129-158

[3] W. IVANOW: *The Alleged Founders of Ismailism,* Bombay, 1946, pp. 146-47.

[4] STERN, Samuel Miklós: "New information about the authors of the 'Epistles of the Sincere
Brethren'", *Islamic Studies,* Karachi, 1964, 4, III, pp. 405-428; **reimpreso**: STERN, Samuel
Miklós: *Studies in Early Isma'îlism,* Leiden, 1983.

[5] عماد الدين إدريس: عيون الأخبار وفنون الآثار –السبع- الرابع، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، 1968، ص 367- 387

[6] حسين الهمذاني: بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها، المكتبة العربية الكبرى، بومباي، 1935، ص 14.

فالبعض اعتبرهم من أتباع المدرسة المعتزلة،[1] والبعض الآخر اعتبرهم من نتاج المدرسة الباطنية كما أشرنا سابقاً، في حين هناك فريق آخر من الباحثين ينفي نسبة إخوان الصفاء إلى الطائفة الإسماعيلية، إذ أنّهم يعتبرونها إنتاج جماعة من علماء القرن الرابع، قاموا بكتابة فلسفتهم عن طريق إثني وخمسين (52) رسالة مشهورة ذاع صيتها حتى في الأندلس، كان الهدف منها التقريب بين الدين والفلسفة، في عصر ساد فيه الاعتقاد أنّ الدين والفلسفة لايتفقان كما قيل: "من تمنطق فقد تزندق"، لهذا فهم يعرّفون الفيلسوف على أنّه الحكيم، وأنّ الفلسفة هي التشبُّه بالإله على قدر الطاقة البشرية، وبالاستشهاد بأقوال الفلاسفة، **كسقراط وأرسطوطاليس وأفلاطون وفيثاغوراس** وغيرهم، التي تصبُّ في نهر الحكمة الواحد الدافق، بما يتوافق مع أقوال الأنبياء كافة.[2] معتمد من قال بهذا الرأي، أولاً محتوى الرسائل الفلسفي، وثانياً ما رواه أبو حيّان التوحيدي الذي عاصر بعض أعضاء الجماعة وعرّف بأسماء بعض مؤلفيها حين تحدّث عن زيد بن رفاعة قائلاً: "أنّه أقام بالبصرة زماناً طويلا، وصادق بها جماعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة، منهم: **أبو سليمان محمد بن معشر البيستي، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، وأبو أحمد المهرجاني، والعوفي** وغيرهم، فصحبهم وخدمهم، وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنّهم قرّبوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنته، وذلك أنّهم قالوا: الشريعة قد دنّست بالجهالات، واختلطت

[1] عادل العوا: حقيقة إخوان الصفا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993 ص 348.

[2] فؤاد معصوم: فلسفتهم وغايتهم، دار المدى، دمشق، 1998، ص 125– 127

بالضلالات؛ ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلّا بالفلسفة، وذلك لأنّها حاويةٌ للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنّه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال؛ وصنّفوا خمسين رسالةً في جميع أجزاء الفلسفة: علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرسةً وسمّوها رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وكتموا أسماءهم، وبثّوها في الورّاقين، ولقّنوها للنّاس".[1] ويعتبر البعض هذه الرسائل بمثابة موسوعة للعلوم الفلسفية، كان الهدف المعلن من هذه الحركة "التظافر للسعي إلى سعادة النفس عن طريق العلوم التي تطهِّر النّفس".[2]

مع ذلك يمكن جمع وجهات النظر المختلفة بالكشف عن النقاط المشتركة بين المعتزلة والصوفية والباطنية. فالمصادر تشير إلى أنّه بعد تولي المتوكِّل الخلافة لاقى كل من المعتزلة والمتصوفة والفرق الشيعية اضطهاد السلطة الحاكمة،[3] فنتج عن ذلك تقارب بين هذه الفرق، باعتبار أنّ العدو واحد.

[1] أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، 1942، ج2 ص 4-5.

[2] Azim NANJE: "On the Acquisition of Knowledge: A Theory of Learning in the *Rasā'il ikhwrī al-Ṣāfā", The Muslim World,* Hartford: 1976, vol. 66, pp.263-271, pp. 263-64.

[3] رشيد بن حسن الألمعي: مقدمة كتاب نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد: لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: 280هـ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1998، ج1 ص 22-23.

فظهرت التجمُّعات السريّة، كالحلقات السِّرية الفلسفية في مدينة البصرة، والدعوة لمصلحة الحركات العلويّة والإسماعيلية.[1]

ويبدو أنّ مؤثرات هذا الجو السياسي والثقافي انعكس في كتابات جماعة إخوان الصفاء، فلذلك نجد **عادل العوا** [2] يؤكِّد الصبغة الإعتزالية للرسائل، ونرى **سوزان ديفالد** تشيد بالقالب الصوفي للرسائل.[3]

لقد صرَّح إخوان الصفاء ضمنياً بمعاداتهم للخلافة العباسية، وكان ذلك في وقتٍ تأسّس للفرق الباطنية كيان سياسي لا يستهان به، مثل حملة دولة القرامطة ضد الخلافة العباسية، وسيطرة الدولة الفاطمية على مصر والشام.[4]

كما أنّ القاضي **عبد جبار المعتزلي** في حوالي 385هـ كان يُؤكِّد على صلة أعضاء جماعة إخوان الصفاء بالخليفة **الفاطمي المعز لدين الله** (ت365هـ) دون أن يشير إلى أنّهم مؤلفي الرسائل. فقد ذكر نفس الأسماء التي أدلى بها أبو حيان التوحيدي. جاء ذكر هؤلاء من قبل جبار المعتزلي في سياق شكواهم للمعز لدين الله الفاطمي أمر افتضاح أمرهم على يد بن رزام.[5]

---

[1] محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية عند إخوان الصفاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص 52-54.

[2] عادل العوا: المرجع السابق، ص 348.

[3] S. DIWALD: "Die Bedeutung des kitāb Iḫwān aṣ-Ṣafā' für das islamische Denken", *Convegno sugli Ikhwān aṣ-Ṣafā'*. Roma, 1981, p. 7.

[4] رسائل إخوان الصفاء: المرجع السابق، ج 4، ص 154.

[5] عبد الجبار بن أحمد الهمذاني: تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1966، ج2 ص 611.

وبذلك تتأكَّد العلاقة السياسية بين إخوان الصفاء والدولة الفاطمية. أمّا في ما يخص الفكر الباطني لإخوان الصفاء، فذلك يتجلّى من خلال نظراتهم الفلسفية وتأويلاتهم للنّصوص الشرعية كما سنرى.

6- نماذج من التأويل عند إخوان الصفاء:

اقتبس إخوان الصفاء كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإعطاء صبغة شرعية لرسائلهم الفلسفية، وسعياً لإثبات غرضهم الذي أشار إليه أبو حيان التوحيدي أوّلوا هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تأويلاً غير متعارفٍ عليه.

يرى إخوان الصفاء أنّ للكتب الإلهية تنزيلات ظاهرة وهي الألفاظ المقروءة المسموعة، وتأويلات خفية باطنية وهي المعاني المفهومة المعقولة، وفي استعمال أحكامها الظاهرة صلاح للمستعملين في دنياهم، وفي معرفة أسرارها الخفية صلاح لهم في أمر معادهم وآخرتهم.[1]

في سياق البرهان على معتقداتهم يعمد إخوان الصفاء إلى تأويل الآيات القرآنية، فيتحدثون عن الثواب والعقاب الحسِّي الموجود في الجنة والنّار زاعمين أنّ جهنم هي عالم الكون والفساد التي هي دون فلك القمر، وأن الجنّة هي عالم الأرواح وسعة السموات، وأنّ أهل جهنّم هم النفوس المتعلقة بأجساد الحيوانات التي تنالها الآلام والأوجاع دون سائر الموجودات.[2]

[1] رسائل إخوان الصفاء: المرجع السابق، ج 4، ص 113.

[2] رسائل إخوان الصفاء: المرجع السابق، ج 3، ص 54.

ومن الآراء الفاسدة في زعمهم من يظنون أنّ جهنم هي خندق محفور، كبير واسع، مملوء من نيران تشتعل وتلتهب، وأنّ الله تعالى يأمر الملائكة – قصداً منه وغيظاً على الكفار– أن يأخذوهم ويرموهم في ذلك الخندق، ثم إنّه كلّما احترقت أجسادهم وصارت فحماً ورماداً أعاد فيها الرطوبة والدم حتى تشتعل من الرأس ثانياً كما اشتعل أوّل مرة، وهكذا يكون دأبهم أبدا. وهذا الرأي على حد زعمهم يعني الإساءة إلى الله تعالى والاعتقاد بأنّ فيه من الحقد وقِلّة الرحمة لخلقه. [1]

ويرون أنّ من الاعتقادات والآراء المحيِّرة، «مثل من يعتقد أنّه يباشر في الجنة مع الأبكار ويلتذ منها ويزيل البكارة، ثم تعود البكارة. ومثل من يعتقد ويرى أنّه يشرب الشراب في الجنّة ويكون باريه ساقيه. ومثل من يعتقد أنّه يتمنّى في الجنّة الطيور المشوية الحاصلة عنده، فيتحصَّل بعد تمنِّيه في الحال، ثم يأكل منها حتى الشبع، ثم بعد ذلك تطير الطيور كما تطير في حال الحياة. ومثل من يعتقد أنّ الإنسان إذا مات بطلت نفسه ووجودها، ومثل من لا يرجو الجنّة إلّا بعد خراب السماوات وطيِّها كطيِّ السِّجلِّ للكتب، ومثل من أنّ الكواكب تتناثر وتتساقط في القيامة. ومثل من يعتقد أنّ الأعمال تُجعل في كفتي الميزان، وأن يعتقد سؤال منكر ونكير في القبر من جسد الميت، وأن يعتقد أنّ في الجحيم تنانين وثعابين وأفاعي يأكلن الفساق، وما شاكل هذه الاعتقادات المؤلمة لنفوس معتقديها مع أنّ جميع ما نطق به الأنبياء، عليهم السلام، من صفة الجنّة ونعيم أهلها وعذاب النّار والعقاب وأحوال القيّامة كلها

[1] المرجع السابق، ج 3، ص 53.

حق وصدق لا مرية فيها، ولكن ليس الأمر كما يعتقد هؤلاء الظلمة الكفرة، بل أمر وراء ذلك لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم».[1]

يقولون أنّ البعث والقيامة أمور تقال لعامّة النّاس ولمن لا يعرف من الأمور شيئاً. أمّا الخاص ومن نظر في العلوم، فإنّ هذا لا يصلح لهم؛ «وذلك لأنّ كثيراً من العقلاء والحكماء (الفلاسفة) ينكرون خراب السموات ويأبون ذلك إباءً شديداً، والجيد لهم أن يعتقدوا أمر الآخرة، وأن لها عَوَداً متأخراً عن الكون في الدنيا، كما كان في الدنيا موجوداً متأخراً عن الكون في الرّحِم، وكما كانت أيام الشيخوخة متأخرة عن أيام الشباب... وهي أحوال تطرأ على النّفس بعد مفارقتها الجسد إذا هي انتبهت من نوم غفلتها في الدنيا واستيقظت من رقدة جهالتها قبل الممات».[2] وفي موضع آخر يثبث إخوان الصفاء معتقدهم هذا باعتبار أن الموت هو مجرد الإنتقال إلى حالة أخرى، فهم يرون أنّ الموت هو ولادة للروح.[3] فهم يستشهدون على ذلك بآيات من كتاب الله الحكيم ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ يعني روح المؤمن، ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ أي يرغِّبه فيها، وهمته ترقِّيه إلى هناك ﴿ومغفرة من الله﴾ ﴿وروح ورضوان﴾، وغير ذلك من الآيات المذكورة في القرآن وأخبار الأنبياء، عليهم السلام».[4]

كما أنكروا في رسائلهم أيضاً وجود إبليس والشياطين؛ فالاعتقاد بوجودهم – على حد زعمهم – من الآراء الفاسدة. يقولون: «ومن الآراء الفاسدة

[1] المرجع السابق، ج 3، ص 61-62.
[2] رسائل إخوان الصفاء: المرجع السابق، ج3 ص 441.
[3] المرجع السابق، ج3 ص 29.
[4] المرجع السابق، ج3 ص 204.

من يعتقد أنّ الله خلق خلقاً وربَّاه وأنماه وأنشأه وسلَّطه وقوَّاه على عباده متمكناً في بلاده، ثم ناصبه العداوة والبغضاء، وهو إبليس وجنوده من الشياطين»[1].

يجب الإشارة في هذا الموضع إلى أنّ إخوان الصفاء يتناقضون مع أنفسهم، فهم يقرّون بوجود إبليس والجن و الشياطين في موضع آخر،[2] وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ المؤلفين جماعة، اتفقوا في بعض الأفكار واختلفوا في أخرى.

كما يؤوّل إخوان الصفاء أصحاب الأعراف بأهل المعارف، والنّار كما أشرنا بالحياة الدنيا عالم الكون والفساد والجنّة بالعالم الأفلاك قائلين: «وكلّما نظر بعين عقله إلى نفسه وأبناء جنسه في عالم الأفلاك، وما هم فيه من الروح والريحان، تمنّى الوصول إلى هناك، وسأل ربّه اللّحاق بهم، كما سأل يوسف الصدِّيق، عليه السلام، وكذلك إبراهيم، عليه السلام، وعند ذلك تصير الدنيا عليه سجناً كما قال عليه الصلاة والسلام: "الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر".

ويكون عند ذلك من أصحاب الأعراف الذين هم أهل المعارف، كما وصفهم الله تعالى: ﴿**وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطعمون**﴾. ﴿**وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار يعني أهل الدنيا**﴾ التي في عالم الكون والفساد، ﴿**قالوا ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين**﴾. وهؤلاء الرجال الذين على الأعراف هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن**

[1] المرجع السابق، ج3 ص 61.

[2] المرجع السابق، ج3 ص 246.

ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ وقال: ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**﴾ فهؤلاء هم أولياء الله الذين هم يتمنون الموت لما قد تبين لهم ما بعد الموت من الوجود المحض والبقاء الدائم والرّوح والرّيحان والنّجاة من الآلام والأوجاع والأسقام التي كلّها جهنّم ونيران».[1]

يعتقد إخوان الصفاء أنّ الملائكة هم الكواكب، فنجدهم يتأولون قوله تعالى ﴿**وترى الملائكة حافين**﴾ قائلين «واعلم يا أخي أنّ الملائكة الحافّين بالعرش هم حملة العرش، وهي الكواكب الثابتة الحافة بالفلك التاسع من داخله، كما يحفّ الحاج بالبيت في طوافهم من خارجه، فهم يسبِّحون بحمد ربهم كما قال: ﴿**وما منّا إلا له مَقامٌ معلومٌ، وإنّا لنحنُ الصافُّون، وإنّا لنحن المسبِّحون**﴾ ويؤمنون به ويُقرُّون بأنّ من وراء مراتبهم ومقاماتهم أُموراً أُخرى هي أشرف وأعلى يقصُر عِلمهم عنها، ويقف فَهمُهم دونها، كما يُقرُّ الحاجّ من المؤمنين بأنّ من وراء السموات البيت المعمور، وحوله جموع الملائكة طائفين يحجُّون إليه في كل يوم أُلوفَ أُلوفٍ، لا يعودون إليه أبداً، ويقولون إن هذا البيت الحرام في الأرض بحذاء ذلك البيت المعمور الذي في السماء، وإنّ هذه السُّنن والمناسك أمثلةٌ وإشاراتٌ إلى تلك السُّنن والمناسك أمثِلةٌ وإشاراتٌ إلى تلك السُّنن والمناسك التي تنسُكُها الملائكة حول البيت المعمور».[2]

[1] رسائل إخوان الصفاء: المرجع السابق، ج3 ص 56.

[2] المرجع السابق، ج2 ص 117.

7. مصادر التأويل عند إخوان الصفاء:

أشار إخوان الصفاء إلى أنّهم ألّفوا اثنتين وخمسين رسالة في فنون العلم وغرائب الحكم، وطرائف الآداب، وحقائق المعاني، عن كلام الخلصاء الصوفية.[1] ولكنّهم لم يسمّوا مصادرهم الصوفية.

يُؤكِّد مؤلِّفي الرسائل بأنَّ علومهم «مأخوذة من أربعة كتب: أحدها الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة، من الرياضيات والطبيعيات، والآخر الكتب المنزلة التي جاءت بها الأنبياء، صلوات الله عليهم، مثل التّوراة والإنجيل والفرقان وغيرها من صحف الأنبياء المأخوذة معانيها بالوحي من الملائكة، وما فيها من الأسرار الخفيّة، الثالث الكتب الطبيعية، وهي صور أشكال الموجودات بما هي عليه الآن من تركيب الأفلاك، وأقسام البروج، وحركات الكواكب ومقادير أجرامها، وتصاريف الزمان، واستحالة الأركان، وفنون الكائنات من المعادن والحيوان والنبات، وأصناف المصنوعات على أيدي البشر.كل هذه صور وكنايات دالّات على معان لطيفة وأسرار دقيقة يرى النّاس ظاهرها ولا يعرفون معاني بواطنها من لطيف صفة الباري، جلّ ثناؤه. والنوع الرابع الكتب الإلهية التي لا يمسها إلّا المطهرون الملائكة التي هي بأيدي سفرة كرام بررة، وهي جواهر النُّفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها، وتصاريفها للأجسام وتحريكها لها، وتدبيرها إيّاها، وتحكمها عليها، وإظهار أفعالها بها ومنها حالا بعد حال، في ممر الزمان وأوقات القرانات والأدوار، وانحطاط بعضها تارة إلى قعر الأجسام، وارتفاع بعضها تارة من ظلمات الجثمان،

[1] المرجع السابق، ج1 ص 21.

وانبعاثها من نوم الغفلة والنسيان، وحشرها إلى الحساب والميزان، وجوازها على الصراط، ووصولها إلى الجنان، أو حبسها في دركات الهاوية والنيران، أو مكثها في البرزخ، أو وقوفها على الأعراف، كما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿**ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون**﴾ وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم**﴾، وهم الرجال الذين في بيوت أذِن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله».[1]

فنجدهم يوردون نصوص على حد تعبيرهم من الكتب المنزلة «يقول في بعض الكتب المنزلة: "أيّها السلطان إنّما جعلتك خليفتي في أرضي، وألقيت عليك اسماً من أسمائي، وملكتك رقاب عبادي، وبسطت يديك في بلادي لتنصف المظلوم من الظالم. فإذا كنت أنت الظالم وتعديت على الضعفاء من خلقي والمساكين من عبادي، وصرت أنت الظالم، وهم المظلومون، فأنا ملك الملوك وسلطان السلاطين، وأنا آخذ الحق منك».[2]

كما يذكرون أنّهم استمدوا من الأئمة خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، وبناءاً على ذلك فهم يشيرون إلى أنّ تعليمهم مستقاة من معارف الأئمة،[3] في حين معظمها من كتب التنجيم والفلسفة اليونانية.

كما نجد لهم اقتباسات من كتب الصابئة، كما أشار **محمد عبد الحميد الحمد** إلى اعتمادهم على كتابات **ثابت بن قرة الحرّاني** (ت288هـ).[4] وذلك

---

[1] رسائل إخوان الصفاء، المصدر السابق ، ج4 ص 36.

[2] المرجع السابق، ج3 ص 142.

[3] المرجع السابق. ج 4 ص162.

[4] محمد عبد الحميد الحمد: إخوان الصفا والتوحيد العلوي، طبع بالرقة، سوريا، 1998، ص 79.

يتجلى في أخذهم بمفهوم القربان الفلسفي الموروث عن صابئة حرّان ووضعه في نفس الدرجة لشعيرة عيد الأضحى في الشريعة الإسلامية.[1]

فكرة خلق الكون، والوحي الذي تتلقّاه الأنبياء، عبّر عنه إخوان الصفاء بمصطلح فيض الباري عن المجودات بالإبداع للعقل الفعال الذي يفيض بدوره على النّفس الكلية، وهذه تفيض على الأنفس الجزئية. هذه بعينها النظرية الأفلوطينية المحدثة، مزجوها بفلسفة فيثاغورس في الأعداد، وبفلسفة الطبيعيين الذين يقولون بالعناصر الأربعة، وبالإضافة إلى فلسفة أرسطو القائلة بالهيولي والصورة .[2]

يرى إخوان الصفا أن أرفع منزلة يرتفع إليها الإنسان هي منزلة الأنبياء، ويليهم في المرتبة الفلاسفة والحكماء، وأنّ تمام منزلة النبي في ست وأربعين خصلة من فضائل البشرية أولها الرؤية الصادقة، فإذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر، في أي وقت من الزمان، فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان، والإمام للناس ما دام حيا،[3] وهذا يعني أنهم يقولون باكتساب النبوة، ولا يؤمنون بأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فالنبوة عندهم درجة يرتقي إليها الفلاسفة والحكماء، ولذلك نراهم يساوون بين أقوال الأنبياء كإبراهيم وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وسقراط وبلوهر.[4]

[1] رسائل إخوان الصفاء، المصدر السابق. ج 4 ص 215-216.

[2] رسائل إخوان الصفاء، المصدر السابق. 3 ص 167-168.

[3] المصدر السابق. ج 4 ص 103

[4] المرجع السابق، ج4 ص 144.

8. خاتمة:

لقد تبيّن لنا من خلال هذا البحث أنّ السبب الرئيسي لظهور التأويل الباطني هو جو الفتنة الذي ساد بين المسلمين في العصر الأوّل، أسفر هذا الخلاف عن فرق احتجّت لمعارضتها السِّياسية بفضل أوّلوية أئمة آل البيت بمنصب الخلافة.

استخدم الإضطهاد الذي عاناه آل بيت رسول الله (ص) كدعاية لتقويض حكم الخلافة الأموية والعباسية. فظهر بين أتباع بعض أئمة آل البيت من يدّعي لهم العلم المخزون، وعلم الغيب أمثال أبو الخطّاب وميمون القدّاح، وكان لهؤلاء موروث فكري خارج عن الشريعة، فقد أشارت المصادر إلى أن ميمون القدّاح وابنه كان لهم باع في التنجيم وأصناف العلوم الفلسفية. فعوّلوا على هذه العلوم وادّعوها للأئمة من أجل الانتصار إلى مذاهبهم.

فبعد حركة ترجمة العلوم شاعت العلوم الفلسفية، وظهرت كتابات ممزوجة بالفلسفة والسِّياسة، وقد تجلى في كتابات **أبو حاتم الرازي** (ت 322هـ)، **أبو يعقوب السجستاني** (ت بعد 360هـ) لمصلحة الإسماعيلية، وكتابات **أبو نصر الفارابي** (ت339هـ). ولكن أكبر مدوّنة للفلسفة بشكل موسوعي ظهرت في القرن الرابع تحت عنوان رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء. وكان لأفكار هذه الموسوعة الفلسفية أثرها في محيطها الإجتماعي، فقد نقدت النظام السياسي والفكري لعصرها. إلّا أنّ هذه الجماعة حسب المصادر التاريخية التي أشرنا إليها، كان لها علاقة بالإسماعيلية. ولم تكن الصبغة الفلسفية والصوفية إلا

لباس ستر لأغراضهم السياسية، ولم يكن سبب إقتباسهم وتأويلهم الباطني للآيات القرآنية، إلّا لإضفاء الصبغة الشرعية لأفكارهم الباطنية.

كشف لنا هذا البحث عن المصادر الحقيقية التي عوّلت عليها الحركات الباطنية بالأخص جماعة إخوان الصفاء، الذين يعتبرون الممثّل الفكري لهذه الحركات. فقد اعتمدوا على الشرائع السابقة بدعوى أنّ مصدر الدّين واحد، وعلى كتب الفلسفة لدعم أفكارهم الباطنية، وعلى كتب التنجيم وأسرار الطبيعة للاحتجاج بأنّ للأئمة علم الباطن الذي يعبرون عنها بالكتب المصونة، والأسرار المخزونة والعلوم المكنونة.[1]

[1] الرسالة الجامعة المنسوبة للمجرطي، تحقيق جميل صليبا، المجمع العلمي، دمشق، 1949، ج2، ص:399.

7. قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر والمراجع العربية:

-ابن منظور محمد: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

-ابن الأثير: المثل السائر، تحقيق الدكتورين الحوفى وطبانة- القاهرة.

-ابن رشيق القيرواني: العمدة، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد- القاهرة.

-إدريس عماد الدين: عيون الأخبار وفنون الآثار -السبع- الرابع، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، 1968.

-إحسان إلهي ظهير الباكستاني: التصوف المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1986.

-إحسان إلهي ظهير: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1987.

-إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2005.

-إخوان الصفاء: الرسالة الجامعة المنسوبة للمجرطي، تحقيق جميل صليبا، المجمع العلمي، دمشق، 1949.

-الأسفراييني عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة – بيروت، 1977.

-الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق هـ.ريتر، الطبعة الثالثة سنة 1983.

-الجرجاني علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.

-الحمد محمد عبد الحميد: إخوان الصفا والتوحيد العلوي، طبع بالرقة، سوريا، 1998.

-الحمد محمد بن إبراهيم بن أحمد: مصطلحات في كتب العقائد، دار بن خزيمة، الرياض.

-الذهبي محمد حسين: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 2000.

-الخطيب محمد أحمد: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، مكتبة الأقصى، عمان، 1984.

-الرازي أبو حاتم: أعلام النبوة، تحقيق صلاح الصادي، طبعة انجمن فلسفة، إيران، 1397هـ.

-السفاريني الحنبلي شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين، دمشق، 1982.

-السواح فراس: طريق إخوان الصفاء، المدخل إلى الغنوصية الإسلامية، دار علاء الدين، دمشق، 2008.

-صليبا جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب، بيروت، 1982.

-العوا عادل: حقيقة إخوان الصفا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993 .

-عواجي غالب بن علي: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، 2001.

-القزوينى عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتخليص المفتاح فى علوم البلاغة ، مكتبة الآداب بالقاهرة، 4ج×1مج.

-المطعنى عبد العظيم إبراهيم محمد: المجاز فى اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1425هـ - 2004هـ، 2ج × 1 مج.

-معصوم فؤاد: فلسفتهم وغايتهم، دار المدى، دمشق، 1998.

-الهمذاني حسين: بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا وعقائد الإسماعيلية فيها، المكتبة العربية الكبرى، بومباي، 1935.

-الهمذاني عبد الجبار بن أحمد: تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1966.

ب-المراجع الأجنبية

-DIWALD Susane: "Die Bedeutung des kitāb Iḫwān aṣ-Ṣafā' für das islamische Denken", *Convegno sugli Ikhwān aṣ-Ṣafā'*. Roma, 1981, p. 7.

-IVANOW Wladimir: *The Alleged Founders of Ismailism,* Bombay, 1946, pp. 146-47.

-Mourad KACIMI: "Nuevos datos sobre la autoría de la *Rutbat al-ḥakīm* y la *Ġāyat al-ḥakīm* (o *Picatrix*)". *eHumanista/IVITRA* (4) 2013. 237-256, p. 252.

-MARQUET Yves: "Les Iḫwân al-Ṣafâ' et le christianisme", *Islamochristiana*, Roma, 1982, (8), pp. 129-158

-NANJE Azim: "On the Acquisition of Knowledge: A Theory of Learning in the *Rasā'il ikhwn al-Ṣāfā", The Muslim World,* Hartford: 1976, vol. 66, pp.263-271, pp. 263-64.

-STERN, Samuel Miklós: "New information about the authors of the 'Epistles of the Sincere

-Brethren'", *Islamic Studies,* Karachi, 1964, 4, III, pp. 405-428; **reimpreso:** STERN, Samuel

-Miklós: *Studies in Early Isma'îlism,* Leiden, 1983.